

القيود والخيارات في ترجمة أدب الأطفال

شهرزاد خلفي

جامعة معسكر - الجزائر -

ملخص:

إن الترجمة في مفهومها العام عملية محفوفة بالقيود والعوائق اللسانية والثقافية يفرضها التحول من نظام لساني إلى آخر ومن محيط ثقافي إلى آخر غريب عنه، فكيف بالترجمة للطفل التي يزيد من صعوبتها أنها مطالبة بتحقيق احتياجات الطفل التربوية والنفسية من جهة، وأن تتوافق مع شخصيته وقدراته الفكرية من جهة أخرى. فلا عجب أن الترجمة في هذا السياق الفريد من نوعه لا يسعها إلا أن تكون عملية معقدة من الدرجة الأولى. فموضوع الترجمة للطفل متشعب، ولذلك سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على المعايير التي تقيد عملية الترجمة، بأنواعها الثقافية والتربوية والإيديولوجية التجارية وتأثيرها على الإستراتيجيات التي يتبناها المترجم في نقله للقصص.

كلمات مفتاحية: ترجمة؛ أدب؛ طفل؛ قيود؛ ثقافة.

المقدمة:

يختلف الأدب الموجه للأطفال عن أدب الكبار لما يستدعيه من اعتبارات فنية لها أهداف تربوية ووجدانية وبيداغوجية، فلما أضيفت كلمة (الأطفال) للأدب، تبنى هذا الأخير مواصفات جديدة مثل مراعاة مراحل أعمار هؤلاء الأطفال وميولهم واحتياجاتهم وقواميسهم اللغوية لكي يجدوا فيه المتعة العقلية والعاطفية.

اقتصرت الأبحاث الأكاديمية في أدب الطفل في بادئ الأمر على المهتمين بقضايا الطفل كأمناء المكتبات والمدرسين والتربويين، ولكن سرعان ما توالى الأبحاث في الأدب المقارن في اللغات الأم لتصل بعد ذلك إلى مجال الدراسات الترجمة.

ويرجع ازدهار الدراسات الأكاديمية لأدب الطفل المترجم إلى عوامل عدة منها: الخصوصية التي يتميز بها النص الموجه للطفل وما يمثله من تحديات أمام المترجم، الاعتقاد السائد بأن كتب الأطفال تساهم في بناء جسور التعارف بين الثقافات، بالإضافة إلى خصوصية الجمهور الموجهة إليه الترجمة¹.

دراسة أدب الطفل في الوطن العربي لا تزال وليدة لأسباب عديدة من أهمها أن أدب الأطفال لا يرتقى إلى المكانة المرموقة التي يحتلها الأدب، مما أدى إلى عزوف الأدباء عن الكتابة للأطفال. زد على ذلك عدم إيلاء الاهتمام الكافي لحاجيات وميول الأطفال في البلاد العربية². أما الأبحاث الترجمية فهي قليلة، وحتى إن وجدت فهي لا تهتم بالعملية الترجمية بقدر تركيزها على مضامين النتاج الترجمي. نذكر على سبيل المثال الدراسة التي أنجزتها الدكتورة عزيزة المانع أستاذة التربية بجامعة الملك سعود، والتي تهدف إلى تحليل مضمون الأدب المترجم للأطفال "والتعرف على ما يحويه من قيم تربوية... وتحديد ما قد يتركه من تأثيرات على شخصية الأطفال ونمط تفكيرهم"³. كما ذكرت الباحثة مجموعة من الدراسات السابقة والتي يخلص معظمها إلى وجود أزمة في ثقافة الطفل العربي تتجسد في هيمنة النتاج الثقافي الأجنبي على الساحة الثقافية. وهو ما يجعل الأطفال يتعرضون لنماذج مختلفة من الأفكار والقيم وأنواع السلوك⁴.

يكفي ارتياد مكتبات الأطفال في أي بلد عربي ليتأكد لدينا غلبة الكتب الأجنبية المترجمة على الكتب المؤلفة. ولكن علينا ألا نغفل أن الفضل في إثراء أدب الطفل يرجع إلى القصص الكلاسيكية العالمية التي ترجمت إلى اللغة العربية، والتي تربت عليها أجيال عديدة من الأطفال. فمن مثلاً تستهوه حكايات الأميرة النائمة وبياض الثلج والأقزام السبعة للأخوين غريم Grimm، وسندريلا لبيررو Perrault وأليس في بلاد العجائب للويس كارول Lewis Carol والعديد من الحكايات من مختلف اللغات والثقافات والتي تعتبر إرثاً وملكا لكل أطفال العالم.

ولما كان اهتمام الأبحاث العربية بمضامين هذه الترجمات فقط ومدى تطابقها مع القيم التربوية والدينية المجتمع ولم تركز على العملية الترجمية في حد ذاتها، وبما أن الترجمة هي الوسيلة التي نقلت هذا الناتج للغة العربية، كان لزاما علينا أن نقف عند هذه الظاهرة بالتحليل، ونلاحظ عن كثب القيود التي تحكم إستراتيجيات انتقال حكايات الأطفال من اللغات الأجنبية إلى العربية.

إن الترجمة في مفهومها العام عملية محفوفة بالقيود والعوائق اللسانية والثقافية يفرضها التحول من نظام لساني إلى آخر ومن محيط ثقافي إلى آخر غريب عنه، فكيف بالترجمة للطفل التي يزيد من صعوبتها أنها مطالبة بتحقيق احتياجات الطفل التربوية والنفسية من جهة، وأن تتوافق مع شخصيته وقدراته الفكرية من جهة أخرى. فلا عجب أن الترجمة في هذا السياق الفريد من نوعه لا يسعها إلا أن تكون عملية معقدة من الدرجة الأولى.

فعلى المترجم بالمناورة في ترجمته لتفصيل نص على مقاس الطفل يحقق مشروعا ثلاثي الأبعاد يتمثل في تخطي قيود الكتابة للطفل وما تقتضيه من أهداف تربوية، وفي نفس الوقت تحقيق الغاية من الكتابة بشكل عام وهي متعة النص مع الوصول إلى ما تتوخاه الترجمة وهو تقريب الآخر.

إن موضوع الترجمة للطفل متشعب ولذلك سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على المعايير التي تقيد عملية الترجمة، بأنواعها الثقافية والتربوية والإيديولوجية التجارية وتأثيرها على الإستراتيجيات التي يتبناها المترجم في نقله للقصص.

مفهوم القيود:

إن الفهم الجيد لمصطلح القيود Contraintes يتيح لنا معرفة الحقل الدلالي له، ويشرح توظيفنا له في هذا السياق. وارتأينا التركيز على التعريفات التي تصب في مضمون هذا المقال أي القيود بمفهومها اللساني والترجمي.

المفهوم اللساني: يعطي لسان العرب عدة معاني لكلمة قيد نذكر منها:

- قَيَّدَ العلم بالكتاب: ضبطه وكذلك قَيَّدَ الكتاب بالشكل: شكَّلَهُ.
وفي الحديث: قَيَّدَ الإيمان الفتك أي أن الإيمان يمنع عن الفتك كما يمنع
القيد عن التصرف فكأنه جعل الفتك مقيدا.

وبشير قاموس Le Robert إلى المفهوم التالي:
Entrave à la liberté d'action / empêcher quelqu'un d'agir
par la contrainte.
نستنتج من هذه التعريفات أن القيد هو الحد من الحرية في
القيام بنشاط ما.

ويخلص حساس الأغباري في أطروحته أن القيد La
contrainte يعني قاعدة إجبارية Règle obligatoire ، وهي جزء لا
يتجزأ من شروط تحقيق أي نشاط. فالقيود لها تأثيرها على المترجم
أثناء نقله للنص في اللغة الهدف⁵. بمعنى أن القيد يتحول إلى معيار
يحكم عملية الترجمة يفرضه المحيط الذي يتم فيه إنتاج الترجمة.

ويمكن تقسيم هذه القيود إلى قيود داخلية وأخرى خارجية،
تتمثل القيود الداخلية في الالتزام بمعايير العملية الترجمية المتمثلة في
الأمانة مع النص الأصلي في المقام الأول. والخارجية هي تلك القيود
التي يملئها المجتمع المستقبل على النص المترجم والتي ترسم معالمها
معايير ثقافية، دينية وإيديولوجية.

ويكفي الاستشهاد بتعريف أو تعريفين للترجمة ليتضح لدينا
ما تعنيه معايير الأمانة، فحسب جوليان هاوس تكمن روح الترجمة
في الحفاظ على معنى النص الأصل أي أن الترجمة هي استبدال
النص الأصلي بنص آخر مكافئ له دلاليا في اللغة الهدف⁶.

أما الترجمة من منظور النظرية التأويلية (نظرية المعنى)
فهي تنبع من الحاجة إلى التواصل. والتواصل الذي ينشأ داخل اللغة
الواحدة يحتاج بالضرورة إلى تدخل المترجم عندما يتعداها إلى اللغات
الأخرى. فالمترجم تربطه علاقة وثيقة بالنص الأصلي الذي يضطلع
إلى توصيله للقارئ الهدف⁷. من الواضح حسب هذه التعاريف أنه لا

يمكن فهم الترجمة بعيدا عن النص الأصلي الذي يعتبر علة وجودها، فالمترجم مقتّد بالحفاظ على معنى النص الأصلي.

مفهوم القيود في الدراسات الترجمة:

سيتم التركيز في هذه الدراسة على قيود الثقافة المستقبلية والقارئ الموجهة إليه الترجمة الذي لا يملك أن يختار لنفسه نوعية النصوص ولا مضامينها، وإنما يضطلع بهذه المهمة الكبار القائمين على شؤونه والذين يختارون للطفل ما يرون أنه مناسب لعمره واحتياجاته، فالمؤسسات التربوية والثقافية للمجتمع الهدف تملي على المترجم معايير يتقيد بها في نقله للنص.

ومن بين النظريات التي تطرقت إلى موضوع المعايير نظرية النسق المتعدد Polysystem، وخاصة أعمال المنظر جردون توري Toury الذي سنستعين بمفهومه للمعايير Normes في شرح القيود. فهو يرى أن هناك "عددا معينا من معايير الترجمة التي تؤثر على اتخاذ القرارات عند ممارسة الترجمة"⁸. هذه المعايير تفرضها الأعراف الأدبية والاجتماعية في الثقافة المستقبلية.

ويميز (توري) بين نوعين من المعايير: التمهيدي Preliminary norms والمعايير الإجرائية Operational norms. تتضمن المعايير التمهيديّة كل معيار يحكم اختيار العمل، فهذه المعايير تجيب على الأسئلة التالية: ما سياسة الترجمة في الثقافة المستهدفة؟ وما الذي تفضله الثقافة المستهدفة من المؤلفين والحقب التاريخية وأجناس القول؟ أما المعايير الإجرائية فيقصد بها القرارات الفعلية التي تُتخذ أثناء عملية الترجمة⁹.

وانطلاقا من مفهوم (توري) للمعايير وبما أن الطفل لا يختار لنفسه نوعية النصوص المترجمة كما أسلفنا الذكر فمن البديهي أن تخضع ترجمة أدب الأطفال في الوطن العربي إلى مجموعة من المعايير التي تعكس القيم التي تميز هذا المجتمع. فقبل الإقدام على ترجمة أي كتاب ينبغي أن يحظى العمل بقبول المؤسسات الثقافية والتربوية حتى يجد مكانه في المجتمع المستقبل. فالترجمة للطفل هي

عملية تفاعل مع عدد من القيم، تحكمها قوانين القراءة، وثقافة الكتاب، ومفهوم الطفولة وقواعد التربية التي تتباين من مجتمع إلى آخر¹⁰.
وكمثال على تكبيف النص المترجم مع المعايير الأدبية للمجتمع الهدف، نذكر ترجمة محمد عثمان لقصاص لافونتين Les Fables تحت عنوان "اليواظ في الأمثال والمواعظ" عام 1850. وبما أن هذا الشكل الأدبي غير موجود في الأدب العربي، كيف عثمان المتمكن من الشعر نص لافونتين في قالب المقامات، وهو جنس جديد بالنسبة لنص لافونتين ولكنه يتمشى والتقاليد الأدبية العربية¹¹.

تتحول القيود التي يملها الأولياء والناشرون والمربون إلى معايير ترجمية توجه المترجم في اتخاذه للقرارات أثناء مرحلة إعادة الصياغة. ويمكن تصنيفها (القيود) إلى ثلاثة أقسام: قيود المتلقي أي تلك التي تملها خصائص الطفل النفسية والعقلية، وقيود ثقافية متعلقة بقيم المجتمع العربي، وقيود تجارية تخص سياسة دور النشر.

القيود المتعلقة بالمتلقي (الطفل العربي)

وهي قيود ترسمها الخصائص الاجتماعية والثقافية واللغوية التي يعتقد صاحب مشروع الترجمة أنها تميز الجمهور المستقبل، وتكمن في سن الطفل ومخزونه المعرفي وقدراته اللغوية. ويمكن استنتاج هذه المعايير من خلال حديث كاتارينا رايس Reiss عن العوامل التي تجبر المترجم على الانحراف عن النص الأصلي، وتجملها في ثلاثة عوامل: قدرات الطفل اللغوية المتواضعة، تحاشي المحرمات التي لا يستسيغها الكبار والمستوى المعرفي لدى الأطفال¹².

يرى الدكتور إسماعيل عبد الفتاح أن أول ما يجب أن يدخل في الاعتبار أن الكتابة للأطفال هي نوع من التربية، وأن كاتب الأطفال هو مربى بالدرجة الأولى، وأن الاعتبارات التربوية يجب أن تحتل مكان الصدارة، ولا يجب أن تصل الكتابة للأطفال إلى أهدافها الفنية على حساب الاعتبارات التربوية أو النفسية¹³. ويذكر سميح أبو مغلى أهدافا معرفية ووجدانية، كإثراء لغة الطفل من خلال تزويده

بمجموعة متكاملة من الألفاظ الجديدة، صقل سلوكه وفق قيم وقوانين المجتمع، وتنمية الحس الفني والجمالي، وبناءه بناءً سليماً عقلياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً عن طريق تنمية شخصيته¹⁴.

ولكي تجد القصص المترجمة إلى العربية إقبالاً في المجتمع العربي، يجب ألا تحيد عن هذه الأسس التي تميز احتياجات الطفل العربي. فعلى المترجم أن يجد إجابة عن الأسئلة التي يوجهها التربويون لمؤلفي كتب الأطفال وهي كثيرة: لأي شريحة من الأعمار هذه الكتب؟ وماذا يريد المؤلف من هذه الكتب؟ وماذا سيتعلم الأطفال منها؟ وهل يُعنى الكتاب بالقيم الأخلاقية والسلوك المرغوب فيه؟ وهل لغته صحيحة وسهلة ميسرة وهل هو مشوّق في عرضه للأفكار؟ هي أسئلة تؤثر على قرارات المترجم أثناء نقله للنص إلى اللغة العربية.

تتجلى هذه الأسس التي تميز الكتابة للطفل في الكتب المؤلفة وكمثال على ذلك نذكر محاولات تبسيط كتب الكبار وتكييفها عن طريق اختصارها وكتابتها بلغة مفهومة ميسرة للأطفال مثل قصص الأنبياء والصحابة ونصوص من عيون الأدب العربي.

عالج الأغباري في أطروحته قضية تكييف الحكايات حسب إمكانيات الطفل اللغوية وأورد مثلاً عن ترجمة الحكاية الفرنسية الموسومة بـ *Le voyage de plume* بـ "مغامرات بلوم"، حيث شرح كيف أن المترجم اختار كلمة "مغامرات" بالرغم من أنها ليست المكافئ الدقيق لكلمة *Voyage*. كان على المترجم أن يستخدم لفظة "رحلة". وأرجع الأغباري هذه الإستراتيجية إلى أن الطفل العربي غير معتاد على هذه الكلمة، فإذا تُرجم العنوان حرفياً فلن يثير انتباه الطفل ولا رغبته في قراءة القصة، ولذلك كانت كلمة "مغامرات" السائدة في عناوين القصص وحتى الرسوم المتحركة مثل سلسلة "مغامرات الفضاء" هي الكلمة الأنسب حسب المترجم¹⁵.

كما ينتقد في نفس السياق مستوى اللغة الموظف في الترجمة للطفل ومدى موافقتها لإمكانيات الطفل اللغوية ويذكر مثلاً عن

ترجمة لقصة La sorcière de la rue Mouffetard لكتابتها بيبير غريباري Gripari:

Il y avait une fois, dans le quartier des Gobelins, à Paris, une vieille sorcière affreusement vieille et laide mais qui aurait voulu passer pour la plus belle fille du monde

كان يا ما كان، كان في شارع موفتار ساحرة عجوز، عجوز للغاية وقبيحة، ولكنها كانت إلى ذلك تود لو أنها تبدو أجمل فتاة في العالم.

إن استعمال "إلى ذلك" في نص موجه إلى الطفل غير مناسب لأن هذا الحرف يرقى إلى مستوى الكتابات الأدبية والصحافية، فالطفل الذي يتراوح سنه بين 9 إلى 12 سنة لا يفهم هذه الكلمة¹⁶.

القيود الثقافية والإيديولوجية:

إن إدراك الكبار أن الأطفال يختلفون عنهم، وأن ما يكتب للكبار غير مناسب لهم يجعلهم يختارون للطفل ما يؤمنون أنه يتناسب معهم، كما يعتقدون أن عليهم حماية الأطفال نفسياً وأخلاقياً. فما يعتبره الكبار مناسباً للأطفال أسبابه ليست نفسية فقط أي تتعلق باحتياجات الطفل الوجدانية، وإنما جذوره اجتماعية¹⁷. بمعنى أن ما يكتب للطفل يعبر عن مشروع المجتمع الأخلاقي والثقافي.

ويرى مفتاح دياب في معرض حديثه عن فلسفة الكتابة للطفل أنه "يجب أن يقوي أدب الأطفال في الطفل العربي اعتزازه بوطنه وأمه ودينه، وأن يهيئه للمساهمة في بناء الوطن وتعريفه بالقيم الإنسانية والقيم الحضارية الخالدة لأُمته الإسلامية العربية"¹⁸.

تظهر هذه الفلسفة جلياً في الكتب المؤلفة التي تعج بها مكتبات الأطفال في البلاد العربية وهي في معظمها حكايات عن مبادئ وقيم الدين الإسلامي، وفي مقال كتبه الأستاذ صابر مدلل عن وضعية الترجمة للطفل يذكر أن 11,80% من مجموع الكتب الموجهة للأطفال تتناول مواضيع دينية كحياة الرسول صلى الله عليه وسلم

وكتب أخرى عن الأنبياء مثل عيسى وموسى عليهما السلام، وفي نوع آخر من الكتب الذي يمثل نسبة 7,75% يتحدث عن شخصيات إسلامية كصحابة النبي والفاحين كخالد ابن الوليد وعبيدة ابن الجراح¹⁹. وإذا كانت الحال كذلك بالنسبة للكتب المؤلفة، فلا سبيل أمام الترجمات إلا أن تتكيف مع المضامين السائدة. وهذا ما تذهب إليه الناشرة والمترجمة البريطانية مونيكا بيرنز Burns، أن كتب الأطفال المترجمة يجب أن تنصهر وتتلاءم مع البلد الجديد الذي وصلت إليه عبر الترجمة²⁰.

تباشر القيود الثقافية والدينية والإيديولوجية تأثيرها من بداية اختيار الكتب، فإذا كانت تعالج مواضيع تعتبر محرّمات مثل الخمر والجنس والذات الإلهية، فلن تجد طريقها إلى اللغة العربية، حتى وإن تمت ترجمتها فسيتم تكيفها وحذف ما من شأنه أن يتنافى مع قيم المجتمع العربي. وليست الحكايات الوحيدة التي تخضع للتكيف ولكن الرسوم المتحركة كذلك، فكل الأفلام الكرتونية التي تحمل مشاهدا عن العنف والرعب والجريمة والقمار والملابس غير المحتشمة والأشباح والسحر والخنزير تتعرض للحذف²¹.

ليست هذه حال الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية فقط ولكن سائدة حتى في الترجمة بين اللغات والثقافات المتقاربة مثل الإنجليزية والفرنسية وحتى في اللغة الواحدة (الإنجليزية) عند انتقال القصص الإنجليزية إلى الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية والعكس. وتقول الباحثة ماري هوفمان Hofman في هذا الصدد أن دور النشر البريطانية أصبحت أكثر حذرا في تقديمها للقصص الأمريكية للأطفال الإنجليز. فعند اقتنائهم لهذه الكتب يحدثون تغييرات متعلقة بالتهجئة وبالإشارات الثقافية الغربية المتعلقة بالمجتمع الإنجليزي²². والقصص الإنجليزية هي الأخرى تطرأ عليها تعديلات عند شراءها من طرف دور النشر الأمريكية، تطال العناوين وأسماء الشخصيات، بالإضافة إلى التهجئة والمفردات وعلامات الوقف²³.

ويظهر هذا التكيف بشكل لافت في قصص هاري بوتر وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، فلقد تم نقل السلسلة الأولى التي تحمل عنوان Harry Potter and the philosopher's stone إلى Harry Potter à l'école des sorciers أي من "هاري بوتر وحجر الفيلسوف" إلى "هاري بوتر في مدرسة السحرة" خشية أن لا يفهم الأطفال الفرنسيون الإشارة إلى الفيلسوف في القصة. كما أن كل الحوارات التي دارت بين هاري بوتر وزملائه وأستاذه والتي تشير إلى الفروق الطبقيّة، وهي أمر عادي في المجتمع البريطاني، تم تلطيفها أحياناً، وحذفها أحياناً أخرى في اللغة الفرنسية لتتماشى مع قيم الجمهورية الفرنسية القائمة على المساواة والأخوة. والحوارات التي جاءت على لسان الشخصيات باللغة العامية وفيها أخطاء لغوية، ترجمت بلغة فرنسية فصيحة، لأنها غير مقبولة في الكتب الفرنسية الموجهة للأطفال، والتي تهدف أساساً إلى تعويد الطفل على الاستعمال الصحيح للغة الفرنسية²⁴.

وإذا كان هذا حال الترجمات الفرنسية لهاري بوتر، فمن الطبيعي أن لا تسلم الترجمات العربية من التحوير والحذف والتلطيف. فبالإضافة إلى ترجمة ham (لحم الخنزير) باللحم المشوي وbacon (لحم الخنزير المدخن) ببيض، وترجمة أنواع المشروبات الكحولية brandy- wine بشراب، حذفت الحوارات التي تصف الشخصيات بمواصفات مهينة ومشينة مثل وصف الخالة (مارج) Marge والد (هاري) بـ a good-for nothing husband "زوج لا يصلح لشيء"²⁵.

تظهر القيود التربوية بشكل جلي في الترجمات العربية للقصص التي تحكي عن شخصيات مغامرة ومتمردة مثل "آليس" و"بينوكيو". إليك مقطع من قصة "آليس في بلاد العجائب" يعبر عن هذه القيود بشكل صارخ:

"آليس" بنت ذكية مطيعة، مجتهدة، تذهب إلى المدرسة وتنتبه إلى كل ما تقوله مدرّستها، وبعد أن تعود إلى البيت وتتناول

غذاءها وتستريح قليلا، تبدأ تذاكر دروسها وتكتب واجباتها وتساعد أمها في أعمال البيت الخفيفة".

ليست هذه كلمات لويس كارول Carol كاتب القصة ولا ما أراد أن يقوله للأطفال. نلاحظ تغيرا لملامح الشخصية، فقيود المجتمع الهدف وما يريد أن تكون عليه الطفلة العربية، حوّل الكتاب من قصة مغامرات إلى قصة طفلة عادية. فهل بهذه المواصفات التي أعطتها الترجمة لآليس يمكن توقع المغامرات التي ستحدث في سياق القصة.

ألا يخطئ المترجم عندما يبسط النص إلى غاية تسطيحه، وينسى أن الغاية من الأدب هي إبهار الطفل وحمله على التساؤل والخيال والتعلم من أخطاء الآخرين، ألا يعتبر خضوع الترجمة إلى القيود التربوية، والاعتقاد أن الطفل قاصر على فهم ما هو غريب، هو استهانة بذكائه وتسطيح لفكره؟.

نجد الإجابة عن هذا السؤال في مقال لـ ستولز Stolze أوردت فيه الأستاذة مثالا عن ترجمة Le petit prince إلى اللغة الإنجليزية، حيث عمدت النسخة الجديدة للترجمة إلى تبسيط وحذف كل المفردات القديمة والعبارات الغريبة، وحين سئل الأطفال الذين قرؤوا النسختين عن أيهما أفضل، كانت النتيجة أنهم يفضلون النسخة القديمة لأنهم انبهروا بمفرداتها السحرية والخيالية بالرغم من صعوبتها²⁶. إن الاعتبارات التربوية التي تنزع إلى التقيد بالأعراف السائدة غالبا ما تطمس ملامح العمل الأدبي الأصلي.

قيود دور النشر:

إن المعايير التي تفرضها دور النشر العربية المختصة في كتب الأطفال تنبع من القيود الثقافية والإيديولوجية للمجتمع، وسياسة الناشر وإمكانياته المادية. هذه المعايير تحكم مضامين الكتب وجودتها. ويقول Friot في هذا الصدد:

" un livre traduit doit donc trouver sa place dans une collection qui a ses caractéristiques propres, sa ligne éditoriale, sa présentation graphique. Voir un nombre de

page fixe à l'avance! Cela contribue à modeler fortement son interprétation, au delà du travail de la traduction stricto-sensu"²⁷.

لقد تَرَدَّدْتُ على بعض المكتبات ومعارض الكتب بحثاً عن حكايات مترجمة، فوجدت كتاباً باللغة الفرنسية تحت عنوان Les plus jolis contes وبالصدفة وقع بصري على الكتاب نفسه مترجماً باللغة العربية تحت عنوان "أجمل الحكايات". صدر الكتاب الفرنسي عام 2009 بدار éditions Caramel ويتضمن ثمانية قصص:

Cendrillon, Le Petit Poucet, La Belle au bois dormant, Les Trois Petits Cochons, La Belle et la Bête, Peter Pan, Le Vilain Petit Canard, Le Vaillant Petit Tailleur.

والكتاب العربي الصادر عام 2010 بدار ربيع للنشر بحلب سوريا يتضمن هو الآخر ثمانية قصص: حسناء الغابة النائمة، فرخ البط القبيح، بوسيت الصغيرة، هاسل وغريتيل، بيتر بان، الخياط الصغير، الموسيقيون الأربعة، الحسناء والوحش.

يبدو أن قصة الخنازير الصغيرة الثلاثة لم تترجم لاعتبارات دينية، كما أن قصة Le petit poucet تحولت إلى بوسيت الصغيرة. بعد قراءة القصة تبين أنها لا تَمُتُّ بصلّة إلى القصة الأصلية إلا بالاسم فقط. تدور أحداث القصة الأصلية حول حكاية أبوين فقيرين تخليا عن أبناءهم السبعة في الغابة، والقصة كلها عن الطرق التي يستخدمها الابن الأصغر قصير القامة Le petit poucet ليعود إلى بيت أبويه. ولأن المجتمع العربي لا يمكن أن يتخيل أولياء يتخلون عن أبناءهم بسبب الفقر، ارتأت دار النشر (في اعتقادي) إلى تغيير مضمون القصة تماماً.

ذكر الأغباري في أطروحته أنه واجه بعض المشاكل مع الناشر في ترجمة قصة Le gentil petit diable التي رفضها عبادي (صاحب دار النشر) تماماً لأن أحداث القصة وبعض فقراتها صادمة للمجتمع العربي الإسلامي وتثير حفيظة الكبار معلقاً على الجملة

التالية (Ils vivaient tous les trois dans un lieu qui s'appelle l'enfer et qui est situé au centre de la terre) قائلا: إن الله وحده يعرف مكان جهنم والشیاطین لا یسکنون جنهم ولكنهم سیدخلونها بعد یوم الحساب²⁸.

كما أنه لاقى صعوبات مع دار النشر الفرنسية في ترجمة قصة Le petit cochon futé الخنزير الماكر لکاتبها بییر غریباري Gripari. هي قصة خنزیر صغیر كان یحلم بأكل نجمة، فلما التهمها وحرّم الحی من نورها، قبض علیه بقال الحی وفتح بطنه وأخرج النجمة من ظهره، وعقبا له ألقاه على طاولة، فبدأ الأطفال یضعون النقود في بطنه للتسلية.

الظاهر أن القصة تحكي عن منشأ حصالة النقود Tire lire التي تنير ترجمتها إلى العربية إشكالية ثقافية لأن الحصالة ظهرت في البلاد العربية منذ زمن غير بعيد ونادرا ما تأتي في شكل خنزير، كما أن الأطفال العرب لن يتعاطفوا مع الخنزير إذا ما نقلت القصة كما هي إلى اللغة العربية.

ضف إلى ذلك أن دار النشر الفرنسية عارضت أي تحريف يطرأ على حبكة ومضمون القصة حتى وإن كان يتطلب الأمر عدم ترجمة النص إطلاقاً، لأنها لا تقبل التضحية بالغاية التعليمية من هذه القصة والتي تنتمي إلى سلسلة الحكايات التي تعرّف الأطفال بأصل الأشياء التي تحيط بهم كالحيوانات والحشرات والألوان. وإرضاءً للطرفين استبدل الباحث الخنزير بالضفدع وأضاف جملة في آخر الترجمة تشير إلى أن الخنزير كذلك لاقى نفس المصير في شارع موقتار²⁹.

الخاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول إن ترجمة أدب الأطفال لا تخرج عن منهج الترجمة الاستهدافية Cibliste ولا خيار أمام المترجم إلا الرضوخ إلى القيود التي تمليها المعايير الدينية والتربوية والسياسية للمجتمع الهدف حتى وإن جاء ذلك على حساب الأمانة مع النص

الأصلي. فأى ترجمة موجهة إلى الطفل في اللغة العربية تزرع تحت وطأة هذه المعايير وتجبر المترجم على تبني استراتيجيات تدخل تحت مظلة التكيف Adaptation كالتلطيف، والتطبيع، والحذف.

هوامش:

1- Tabbert, Reinbert, Approaches to the translation of children's literature, Target, Vol. 14, n°2, 2002, p303.

2- Erika Mussche, Proper Names and cultural-specific items in the Arabic translation of Harry Potter, Meta, Vol.55, n°3, 2010, p475.

3- عزيزة المانع، الأدب المترجم للأطفال، دراسة تحليلية للمضمون التربوي، المجلة العربية للتربية، المجلد 21، رقم 2، 2001، ص206.

4- المرجع نفسه، ص203.

5- Jassas Alaghbari, les contraintes de reformulation en traduction de littérature de jeunesse, Thèse de doctorat, Université Sorbonne Nouvelle, Paris 3, ESIT, 2011, p246.

6- Juliane House, A Model for assessing Translation quality, Meta, Vol. 22, n°2, 1977, p103.

7- Seleskovitch, D, et Lederer, M, Interpréter pour traduire, Paris, Didier, Erudition, 2001, p18.

8- غينتسلر ايدوين، في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007، ص262.

9- المرجع نفسه، ص305.

10- Bernard Friot, Traduire la littérature pour jeunesse, in le Français aujourd'hui, n°142, Juillet, 2003, p84.

11- Al Aghbari, op.cit, p284.

12- Tabbert, op.cit, p314.

- 13- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليلية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط. الأولى، 2000، ص28-29.
- 14- المرجع نفسه، ص36.
- 15- Al Aghbari, op.cit, p311.
- 16- 16- Ibid. p317.
- 17- Isabelle, Nieres, Chevrel, les livres pour enfants et l'adaptation, Etudes littéraires, vol. 7, n°1, 1974, p144.
- 18- مفتاح محمد دياب، نفس المصدر، ص36.
- 19- Sabeur Mdallel, Translating children's literature in the Arab world : The state of the Art, Meta, Vol 48, n°12, 2003, p300.
- 20- Tabbert, op.cit, p78.
- 21- Mussche, op.cit, p476.
- 22- Tabbert, op.cit, p314.
- 23- 16- Ibid. p314.
- 24- Anne Lise Feral, The translator's magic wand : Harry Potter's journey from English to France, Meta, Vol. 51, n°3, 2006, p464.
- 25- Mussche, op.cit, p492.
- 26- Radegundis Stolze, Translating for children- World view or pedagogics?, Méta Vol. 48, n 1-2, 2003, p209.
- 27- Friot, op.cit, p87.
- 28- AlAghbari, op.cit, p370.
- 29- Ibid. p278.

المراجع:

1- المراجع بالعربية:

- ابن ظافر الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
- أبو معال، عبد الفتاح، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1988.
- أجمل الحكايات، حلب، سوريا، دار ربيع للنشر، 2010.
- إدريس، سهيل وعبد النور، جبور، المنهل، قاموس فرنسي-عربي، بيروت، دار العلم للملايين، 1985.
- حردان، ج وعويس، هـ، مصطلحات تعليم الترجمة، بيروت، جامعة القديس يوسف، 2002.
- دباب، مفتاح محمد، مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، مصر، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1995.
- الديداوي، محمد، الترجمة والتعريب، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2002.
- عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقدية تحليلية، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2000.
- غينتسلر، إدوين، في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- المانع، عزيزة، الأدب المترجم للأطفال: دراسة تحليلية للمضمون التربوي، المجلة العربية للتربية، المجلد 21، رقم 2، 2001.

2- المراجع باللغات الأجنبية:

- Alaghbari, J, Les contraintes de reformulation en traduction de littérature de jeunesse, thèse de doctorat, Paris, Université Sorbonne, Nouvelle, Esit, 2011.
- Feral, A. The translator's Magic' wand : Harry Potter's journey from English into French, Meta, vol.51, n°3, 2006.

- Gouanvic, J, De la traduction à l'adaptation pour les jeunes, Meta, vol.48, n°1-2, 2003.
 - Les plus jolis contes, éditions Caramel, Malaisie, 2009.
 - Mdallel, S, Translating children's literature in the Arab world, Meta, vol.48, n°1-2, 2003.
 - Mariaule, M et Wecksteen, C, Le double en traduction ou l'impossible entre deux, Arras, Artois Presses Université, « collection traductologie », 2011.
 - Nieres-Chevrel, I, des livres pour enfants et l'adaptation, Etudes littéraires, vol.7, n°1, 1974.
 - Radegundis, S, Translating for children - World. View or pedagogics ?, Meta, vol.48, n°12-2003.
 - Seleskovitch, D et Lederer, M, Interpréter pour traduire, Paris, « Didier Erudition », 2001.
 - Tabbert, R, Approches to the translation of children's literature: A review of critical studies since 1960, Target, vol.14, n°2, 2002.
 - Erika Mussche, Proper Names and cultural-specific items in the Arabic translation of Harry Potter, Meta, Vol.55, n°3, 2010.
- 3- القواميس:**
- الكرعي، حسن سعيد، المغني زائد: قاموس إنجليزي-عربي، بيروت، مكتبة لبنان، 1994.
 - لسان العرب، نسخة إلكترونية.
 - Le Robert quotidien, Paris, 1996.